5 ـ تحفة القادم

لم نعثر على كتاب تحفة القادم الذى أشار اليه من ترجموا ابن الابار ـ وانما عثرنا على مخطوط لمقتضب (1) من تحفة القادم . ولا نستطيع دون رؤية الكتاب الاصلى أن نقدر حجم « المقتضب » اذا قورن بالاصل لذلك سنعرض هنا وصفا للمقتضب دون ان نتعرض لوصف الاصل .

عالج كتاب « الحلة السيراء » تراجم ولاة اسبانيا والمغرب وافريقية وأمرائها ممن تعاطوا صناعة الشعر . وذكر نماذج لشعر كل واحد منهم. وبدأ بالقرن الاول الهجرة ، وانتهى بعهد كتابة المؤلَّف ، وكان حوالى سنة 649 هـ كما ذكرنا . أما

---

(1) هكذا تبدو الكلمة مكتوبة فى المخطوط ، واميل الى القول بان الناسخ لم ينقل الكلمة من الاصل نقلا صحيحا ، وانها يجب ان تكون « مقتطف » ، فهى كلمة اصلح وانسب ، واكثر جمالا ومسايرة لما فى المقدمة من عبارة : « اقتطاف من بارع الاشعار ، بل يانع الازهار » .

«مقتضب تحفة القادم» فلم يتوسع فيما تضمنه من تراجم شملت نحوا من سبعة قرون، بل اقتصر على نحو قرن من الزمان. وانحصر فى شعراء الاندلس، وبعض من طرأ عليها من الغرباء. والكتاب، لا يترجم شاعرا لانه أمير او وال، ولكن لانه شاعر فحسب. ولم يتوسع فيما يعرض من تراجم، ولكنه يقتضب ويوجز، ويعرض فكرة مضبوطة عن مولد الشاعر ونشأته ووفاته وتاريخ الوفاة، والمؤلف يذكر سلسلة الرواة الذين روى عنهم ما ينسب من شعر الى قائله، او يشير الى المصدر كعادته فى مؤلفاته الاخرى. وهو يقول فى مقدمة هذا المقتضب من كتاب تحفة القادم:

«اسأل الله عونا على حمده الفرض، وصونا من الرفض لما يثمر مضاعف القرض. ومحمدا أصلى عليه وعلى آله وصحبه الذين اشبهوا نجوم السماء فى الارض، صلاة تدخلنى فى زمر الجنة اذا أخرج بعث الناد يوم العرض. وبعد فهذا اقتطاف من بارع الاشعار، بن يانع الازهار. قصرته على أهل الاندلس بلدى، وحصرته الى من سبق وفاته منهم مولدى. ثم الحقت بهم أفراداً

لحقهم شيوخ ذلك الاوان ، لاضاهى انموذج ابى علي بن رشيق فى شعراء القيروان . واضفت الى هؤلاء الطارئين على الجزيرة من الغرباء . وربأت به عما تضمنته كتب السابقين من الادباء ، ليكون بريئا من وضيعته ، ابعد من خسرانه وضيعته . . مسارعا الى ما لهم من ابيات سائرة ، وآيات سافرة ، وشارعاً فى تكميل عددهم مائة شاعر وشاعرة [1] . وجعلته باكورة ما بين يدى فى هذا الفن ، والله المستعان ذو الطول والمن .

ولما عارضت به « زاد المسافر » سميته « تحفة القادم » وحميته اسجاع الناثر ، اكتفاء بقوافى الناظم . . . الخ »

فهذه المقدمة تعرض الغرض من وضع الكتاب ، وما فيه ، والصورة التى سيكون عليها . والحق أن ما به من تراجم ونماذج شعرية موجز قصير ، حتى لنجد فى الصفحة [2] الواحدة احيانا تراجم ونماذج لثلاثة شعراء . واحيانا يطيل المؤلف فى ذكر نماذج الشاعر ان كان ممن تربطهم به رابطة تقدير او مودة .

---

(1) تضمن هذا الكتاب تراجم لبعض الشواعر ونماذج لاشعارهن .
(2) انظر الورقة صفحة 58 .

كما فعل ذلك فى ترجمة ابى بحر صفوان بن ادريس التجيبى وابى محمد عبد العزيز الغسانى، وابى المطرف بن عميرة .

ولقد احتفظ ابن الابار بوعده فى المقدمة، فلم يكتب فى التراجم نثرا مسجوعا . والحق أن التراجم قصيرة ، وتتضمن حقائق ووقائع لا تمكن من السجع . فهو يقول مثلا فى ترجمة « ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن خلصة » اللخمى من اهل بلنسية . وكان بها يدرس العربية والاداب . وأقرأ وقتا بدانية . ثم انتقل الى المرية . وهناك توفى سنة تسع عشرة وخمسمائة . حكى ذلك ابن الصيرفى فى تاريخه . وقيل سنة عشرين، وقيل سنة احدى وعشرين . ومن قوله فى ابى العلا بن زمر من قصيدة . . . . . .

فابن الابار يصرح بانه لا يريد ان يلتزم السجع فى نثره بهذا الكتاب ، ولذلك يرسل نثره ارسالا واضحا . وهو لا يريد ان يذكر كل ما يعرف من شعر الشاعر ، ولكنه يقتطف منه ولذلك يقول : « ومن قوله . . . . . فى قصيدة » .

اما الكتاب الذى عارض به ابن الابار الكاتب والشاعر ابا

بحر صفوان [1] بن ادريس فهو كتاب « زاد المسافر، وغرة محيا الادب السافر » وهو مجموعة اشعار لعدد من الشعراء المعاصرين والسابقين لابى بحر . وقد ترجم كل شاعر بعبارة وجيزة واتبع الترجمة بمختارات من شعره . وهو يقول فى مقدمة كتابه هذا :

« اما بعد حمد الله، والصلاة على محمد نبيه وعبده فهذه جملة علقتها من اشعار المولدين ممن ادركته بعمرى ، أو لحقه أهل عصرى . ولم أتوخ بالتقديم فيهم ولا التأخير اشعاراً بمزية أو تنقص تعصب، بل ذكرتهم حسبما تيسر لى . والله المستعان واياه أسأل التوفيق والهدى والعصمة من الزلل ... ». وهذا الكتاب لا يزال مخطوطاً [2] بمكتبة الاسكوريال تحت رقم 256 . وهو يشمل .. كما قلنا .. مختارات من شعراء أواخر القرن السادس الهجرى. وخطه مغربى وفى 54 ورقة بكل ورقة 18 سطرا .

---

(1) هو ابو بحر صفوان بن ادريس بن ابراهيم بن عيسى التجيبى المرسى ولد سنة 560 (1165م) وكان تلميذ ابن رشد . ومات سنة 598 (1202م). وكان شاعرا كاتبا اديبا مؤرخا. وقد اخطأ بروكلمان فسماه «ابو بكر» راجع ص 273 من الجزء الاول Geschichte der Arabishen Litteratur

(2) اخبرت من اصدقائى بالمغرب انه طبع بعناية الاستاذ عبد القادر محداد من اهل الجزائر .

اما كتابنا « مقتضب من تحفة القادم » فمخطوط بالاسكوريال تحت رقم $\frac{2}{356}$ وهو في 79 ورقة ، بكل ورقة 23 سطرا . ومكتوب بخط مغربي واضح . وتاريخ الكتابة سنة 990 هـ. (1582 م) وفي نهاية المخطوط نجد العبارة :

« انتهى ما قيده ابو اسحاق ابراهيم بن محمد بن ابراهيم البلفيقي من كتاب تحفة القادم لابي عبد الله بن الابار حسبما اختار . ومن المنقول من خطه نقلته ..... وكان الفراغ من نسخه لخزانة السلطان مولانا امير المؤمنين ، وناصر الدين ، الباسل الضرغام المرتضى ايالة الاسلام ، ابو العباس المنصور الشريف الحسني ايد الله اوامره ، وأعلامه ..... وذلك في ثالث عشر جمادى الاولى عام تسعين وتسعمائة ..... »

أما تاريخ تاليف هذا الكتاب فمن الصعب تحقيقه . ولكن عبارة وردت في مقدمته قد تساعد على معرفة التاريخ بالتقريب ، تلك هي: « وجعلته باكورة ما بين يدي في هذا الفن » . فهذه العبارة تشير الى ان الكتاب باكورة مؤلفات ابن الابار . وعبارة

خبرى تساعدنا ايضا هو : « وقصرته على اهل الاندلس ابلدى . . . » . فاذا كان ابن الابار قد قصره على اهل بلده الاندلس فان هذا يرجح انه كتبه وهو ما زال فى بلده قبل سفره [1] الى تونس ، لاسيما والكتاب باكورة انتاجه .

وعلى هذا لانبعد من الصواب اذا افترضنا ان الكتاب ألف قبل سنة 636 هـ. وهى سنة سقوط بلنسية .

والكتاب مجموعة من الاشعار الجديرة بالنشر . [2]

---

(1) نعم قد تكون كتابته فى تونس ويستعمل ابن الابار عبارة « الاندلس بلدى » ولكنه فى هذه الحال يجانب المجاملة ، ويشعر القارئ بأنه لا يعتبر تونس موطنا له .

(2) وقد عنى بنشره عن هذا المخطوط معهد الخنرال فرنكو